توثيق الارتباط

بالتراث العربي

المكتبة الصغيرة

١

عبد العزيز الرفاعي

دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

المكتبة الصغيرة

(١)



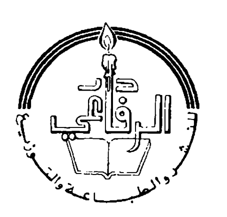
توثيق الارتباط بالتراث العربي

عبد العزيز الرفاعي



دار الرفاعي
للنشر والطباعة والتوزيع
الرياض

الطبعة الأولى صفر ١٣٨٩ هـ
الطبعة الثانية رجب ١٣٨٩ هـ
الطبعة الثالثة رجب ١٣٩٢ هـ
الطبعة الرابعة ربيع الأول ١٣٩٣ هـ
الطبعة الخامسة ربيع الأول ١٣٩٧ هـ
الطبعة السادسة ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ
مزيدة ومنقحة



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

وبعـد.. فقد كان جميلاً من مؤتمر الأدباء السابع الذي انعقد ببغداد في اليوم الثاني من صفر ١٣٨٩ هـ (١٩ إبريل «نيسان» ١٩٦٩ م) أن يُعنى بمسألة التراث العربي، فيطرح موضوع «توثيق الارتباط بالتراث العربي»، للبحث والنقاش.. ضمن الموضوعات الأخرى التي حددها للباحثين من أعضائه.. وهو موضوع حيوي وثيق الصلة بالظروف العصيبة التي تجتازها الأمة العربية، خاصة فيما بعد حزيران ١٩٦٧.. ذلك لأن أية أمة تحرص على أن يكون لها كيان خاص بها، وشخصية بارزة المعالم، لا بد وأن ترتكز على تراث.. تستمد منه عزيمتها، وتلتف حوله، وتنطلق من مركزه، وتبلور مستقبلها على قواعده.. وهذه العوامل كلها، إنما تشكل بالتالي عناصر قوة واتحاد.. وعناصر القوة والاتحاد هي من دعائم النصر في المقدمة.. وإن حافزاً قوياً أشد ما يكون من القوة، ليحفز الأمة العربية إلى أن تطلب النصر، بعـدما لحقها من

هزائم. . وبعد أن تكالبت عليها غزوات السلاح، وغـزوات الفكر. . بيد أن الأمة الأصيلة لا تفل النكبات من عزمها، ولا تسلمها إلى اليأس القاتل، ذلك لأنها تستمد من تاريخها، ومن أصالتها قوة للجلاد والكفاح وتاريخ الأمة العربية مليء بقصص الصراع والمقاومة والثبات. . وعلى سبيل المثال أذكر المحاولات الكبيرة التي بُذلت للنيل من اللغة العربية، ولإبعادها عن دورها الحضاري، ولقطع الصلة بين الناطقين بها وبين ماضيهم، وبين تراثهم الإسلامي. . بل بينهم وبين القرآن الكريم المصدر الأول للإشعاع والهدى والتشريع. . أو تحويلها إلى لغة أثرية تتردد في المساجد والمحافل الدينية فحسب!.

ولقد كنت أحد المشتركين في مؤتمر الأدباء السابع، سالف الذكر، عضواً ضمن وفد المملكة العربية السعودية إليه. . وقد اخترت أن أكتب في موضوع التراث. . لأنه موضوع يروق لي بحثه. . وأنا أؤمن أشد الإيمان بأهميته، وبفعاليته في بلورة الكفاح العربي، وبصلته في تكوين اللقاء المنشود بين الأمة العربية وبين المجموعة الإسلامية في كل مكان، ذلك لأن التراث العربي، إنما يشكل تراثاً إسلامياً، لغته هي اللغة العربية. .

ومن هذا الإيمان، قدمت ـ في ظروف ضيقة جداً، لا تتسع للبحث والدرس والتركيز ـ محاضرة ألقيتها في المؤتمر. . وقد أفضل

المؤتمر فطبعها في كتيّب، كما فعل بالبحوث الأخرى التي أُلقيت في المؤتمر، أو قُدمت إليه..

بيد أن طبعة المؤتمر كانت محدودة جداً، تستهدف التوزيع المحدود على أعضائه، والمحافل الأدبية المعنية..

ولا أزعم أن المحاضرة، كانت من الأهمية بحيث حفزني أمرها لطباعتها من جديد.. كلا، فأنا أول من يعرف أبعادها.. ولكني طبعتها بحافز طرح الفكرة للنقاش على صعيد أوسع مدى ونطاقاً.. ولعل الأمة العربية تجني من حصاد ذلك، رغبة صادقة في الالتفاف حول تراثها الإسلامي، وتقدر قيمته ونفاسته، وتعمل على العناية به..

ولا أنكر أن هذه المحاضرة، إنما دارت أكثر ما دارت حول التراث الأدبي مراعاة للمناخ الذي ألقيت فيه، وهو مناخ مؤتمر الأدباء.. وإلا فكلمة التراث أشمل وأوسع من أن نحجرها في التراث الأدبي وحده، وهذا أمر بدهي لا يحتاج إلى تعليق، وإن كان يحتاج إلى إيماءة عابرة.

بقي أن أقول: إن موضوع التراث تناوله في المؤتمر عدد من الباحثين، ومن وفود متعددة، وقد تناولوه من زوايا متعددة أيضاً، ومنها ما يعتبر قيماً جداً، وحبذا لو تمكنت سكرتيرية المؤتمر من إخراج كتاب بذاته عن كل هذه البحوث، سواء منها ما أُلقي أو

وها نحن ننعم الآن بفضل الله وحمده، بعهد الملك (فهد بن عبد العزيز) خادم الحرمين الشريفين الذي تزدهر فيه الحركة العلمية والفكرية والأدبية. أطال الله بقاءه، وحفظ على بلادنا أمنها واستقرارها في ظل رعايته واهتمامه.

عبد العزيز الرفاعي

الرياض في ٢٣/ ٤/ ١٤٠٨ هـ

تَمْهيد

العدو الذي يجثم في أجزاء عزيزة من بلادنا، ويحتل من مقدساتنا حرماً غالياً (أعني إسرائيل). . هذا العدو إنما اتخذ من تراثه القاعدة الأولى التي كانت منطلقه إلى العمل على إقامة دولته في قلب الوطن العربي. .

وليس ثمة شاهد على أهمية التراث وتأثيره البعيد أكبر من هذا الشاهد. .

وبالرغم من أن العدو كان واهي الحجة. . بل إن حجته لغريبة أشد الغرابة، ولو أخضعناها للمنطق لتغيرت خريطة العالم كل التغيير. . بالرغم من ذلك فإن الصهيونية تمسكت بهذه الحجة ـ كل التمسك ـ بل استقتلت لأجلها، وجعلت منها حلمها الملحّ الدائب، ثم حولت هذا الحلم إلى حقيقة قائمة، مهما تكن الوسائل التي استعانت بها لتحقيقه، بل إن إسرائيل لتحلم على ضوء تراثها المزعوم أحلاماً أخرى محورها إسرائيل الكبرى. . وهي أحلام لن تستيقظ منها إلا أن نوقظها نحن. .

ولن نستطيع أن نفعل إلا إذا كنا أمة واحدة، توحدها مقومات واحدة، ترتكز على تراث واحد.

كانت كل خطوة تخطوها الصهيونية، إنما تتمثل هزيمة لنا على نحو ما، حتى انتهينا إلى كبرى هزائمنا..!!

معنى ذلك أننا كنا نتخاذل يوماً بعد يوم، ليمثل كل تخاذل منا، عنصر انتصار لإسرائيل.. وكنا نتشتت فرقاً وأشياعاً، يوماً بعد يوم، ليكون كل تشتت منا لإسرائيل وحدة واجتماعاً..

وإذا أردنا أن نرجع عوامل انتصارها، وعوامل انهزامنا، إلى عنصر واحد فحسب، فليس من الصعب أن نهتدي إلى هذا العنصر وهو التراث..

وليس في هذا القول غلو..

ألم أقل منذ البداية ان التراث كان القاعدة التي انطلقت منها إسرائيل لتصنع من بعد، كل قاعدة تالية..؟.

ولا كذلك كان الشأن بالنسبة لنا..

لقد كان التفريط في التراث هو القاعدة التي انهارت من تحتنا أيما انهيار..

لم تكن حكاية الأرض المزعومة وحدها قصة إسرائيل.. فقد كان لها أكثر من ركيزة تراثية.. فقد التفت حول كتاب،

والتفت حول لغة.. كنا نظن أنها أثرية، بادت أو كادت تبيد، وذلك بعد عشرين قرناً من ضياع هذه اللغة، وهكذا ينبعث بعد الشتات والضياع شعب يناصبنا أشد العداء، ويحتل بلادنا، ويتحدانا مطلع كل شمس.. يقوم هذا الشعب، على وهم أرض.. وبقايا لغة.. وقصة كتاب.. إنه شعب اصطنع تراثه فصنعه تراثه! ولكنه لم يكتف بأن يلتفت حول تراثه.. فقد كان مخططه منذ عهد بعيد، أن يقوّض تراثنا، فهو يعلم ـ علم اليقين ـ أنه لن يكون له في أرضنا موطىء قدم، إلا إذا استطاع أن يوجد بيننا الفرقة والتناحر، لكي نمزق أنفسنا بأنفسنا، ونهدم صروحنا بأيدينا، وهي غاية لا يستطيع أن يصل إليها إلا إذا تهاوت أسباب الوحدة في نفوسنا، وفي ثقافتنا، ولن يكون ذلك إلا إذا أضعنا تراثنا أو نبذناه لسبب ما..

وهكذا بدأت عملية منظمة لإذابة تراثنا.. ولم يتورع هذا العدو القديم الجديد من أن يضع يده مع كل يد عملت في هدم المجد العربي، وتشويه التراث العربي، وتقويض الكيان العربي..

موقف الإسرائيليين من تراثنا:

لا عجب إذن إن بدأ الطريق الطويل مع هذا العدو بالإسرائيليات لينتهي بإسرائيل.. بل إنه لن ينتهي، فنهاية

اليوم بداية شوط طويل.. هو شوط الكفاح السافر، وصراع السلاح إلى جانب صراع الفكر!.

كانت الإسرائيليات بداية القصة.. بل بداية سلسلة من الدس المنظم، الذي يُعرف فيه أحياناً الفاعل الحقيقي أو يختفي أحياناً أخرى خلف أبطال آخرين.. وإذا لم تكن الرواية من تصميمه وإخراجه، فإنه لن يعدم وسيلة ما لكي يضطلع فيها بدور ما، فهو أيضاً خلف الكثير من النحل والمذاهب المنحرفة والفتن والاضطرابات والتيارات الفكرية المختلفة، وبعض آراء المستشرقين، إلى آخر ما ابتلي به التاريخ العربي.. كان لكل ذلك أثره السيء على تراثنا... حتى لقد جاء اليـوم الذي أصبحنا ننظر فيه إليه نظرة ازدراء! فهو تارة سطحي، وهو تارة خرافي، وهو تارة عاجز قاصر، وهو تارة جامد متحجر... إلى آخر ما رُمي به تراثنا من تهم.. إما عن جهل به لانصرافنا عنه، وإما عن تأثر بالدعايات المغرضة ضده..

وهذه الغاية هي التي كان يريدها أولئك الذين عملوا في دأب وتنظيم، لإلقاء أضواء شديدة على العيـوب والمثالب، يقابلها من الناحية الأخرى طمس كل الجوانب المضيئة من تراثنا.. حتى لقد أخفوها أو كادوا..

إذن فقد كانت مهمتهم ذات شقين، العمل على تشويه تراثنا

أولاً، ثم تسليط الأضواء الشديدة على ما صنعته أيديهم من تشويه..

ليس معنى هذا أن أقلل من تبعتنا كعرب في كل ما لحق تراثنا من انحراف.. كلا، بل إنني أجسد هذه التبعة، فلو لم نغفل نحن، ولو لم نهمل نحن، لما وصل الأمر إلى ما وصل إليه اليوم..

بيد أنه لحسن حظ تراثنا، أن كان هناك عبر تاريخنا حراس أشداء، عرفوا مكامن الدس منذ بدايته، فعملوا على فضح أمرها، وقاموا بكشف الزيف، ما وسعهم إلى ذلك سبيل، وهو عمل مجيد بلا شك، نذكره لهم بكثير من الإعجاب.. فلولا أن قيضهم الله لذلك لكان تراثنا أشد ضياعاً، ولكنا به أشد جهلاً.. ولقد بدأت جهود هؤلاء منذ عهود التدوين الأولى، أي منذ العهد الذي استغل فيه المضللون فرصة اعتماد العرب في أدبهم وعلومهم الأولى على الرواية والإرث فحسب، قبل أن يكون لهم تدوين وتأليف..

ومن الطبيعي أن تظهر على تراثنا، آثار المعركة القديمة التي خاضها منذ القرن الهجري الأول، ضد كل الواغلين فيه، والعاملين على انتقاصه وتشويهه..

اللغـة والتـــراث:

وكانت اللغة العربية ـ ولا تزال ـ هدفاً كبيراً، لكل أعداء العرب، لأنها الركيزة الأولى للتراث، فكان أن بذلت محاولات متتالية لإبعادنا عن هذه اللغة، إن لم يكن ذلك بشكل سافر صريح فلا أقل من ازدرائها والتقليل من أهميتها، والبحث عن مثالبها، وتجسيم هذه المثالب.. لتتحول لغتنا الشاعرة في أعيننا إلى لغة شوهاء عرجاء قاصرة..

وحصيلة للجهود التي تبذل بقصد، وبدون قصـد، فقد أصبحنا اليوم نشكو من غربة البيان العربي الصحيح السليم، أمام جحافل التعابير الأجنبية، والصيغ الغربية، والمصطلحات الجديدة التي كثيراً ما يكون في لغتنا ما يغني عنها، لو رجعنا في صدق وإخلاص إلى تراثنا، وراجعنا مدخراتنا اللغوية.

إنا نرى اليوم أن الثقافة العربية السليمة تتقلص وتنزوي، والأساليب العربية الفصيحة تلتوي، والألسنة تنال منها العجمة الجديدة.

إنني في هذه الكلمات العجلى، إنما أعبر عن مشاعر رقيب يشهد ما يجري على الساحة الثقافية، قد يملك القدرة على إدراك حقيقة الداء، ولكنه لا يملك القدرة على وصف العلاج، لأنني

لست من ذوي الاختصاص، فلا أملك ـ إذن ـ إلا إظهار الجزع..

كلمتي ـ إذن ـ كلمة رقيب يعمم ولا يخصص، ويدل ولا يحلّل، يلحظ ولا يمحّص... أما التخصيص والتحليل والتمحيص، فمن حق المختصين وحدهم..

ولا أنكر أن الكلمة العربية عانت قبل اليوم عجمتها الأولى، يوم انضم إلى موكب الثقافة العربية قوافل من أمم الأرض، التي امتد إليها النفوذ العربي الإسلامي، فالتقت عدة ثقافات، وخرج البيان العربي حينذاك من بساطته ونصاعته ووجازته إلى أنواع من التعقيد والتركيب والزخرفة، والتوليد والإغراق والإغراب، ونشأت مدارس جديدة في دنيا الأدب والمعرفة، وكان للثقافة الفارسية تأثيرها في المدارس الثقافية منذ ذلك التاريخ، منذ كان يفترض في موظفي الدواوين أن يكونوا على حظ من إجادتها، إذ كانت تعد لغة البلاط وإن ظلت للغة العربية هيمنتها، فقد كانت إجادتها وإجادة نحوها وصرفها وبلاغتها مطمحاً ضرورياً لبروز الأدباء والشعراء من غير أبناء العربية.

منذ القرن الهجري الرابع الذي يعد قمة النضج الأدبي للشعر والنثر، كانت بوادر العجمة الأولى تتسلل في هوادة إلى

اللغة العربية، لتتدفق فيما بعد، على تفاوت في نسبة انسيابها بين البيئات العربية المختلفة في المشرق والمغرب، حتى وصلت اللغة العربية في العهود العثمانية المتأخرة إلى درجة كبيرة من الوهن والضعف والركاكة، حتى هيأ الله لها البعث الجديد، على أيدي نخبة من الرجال، جمع أكثرهم بين الثقافة العربية الأصيلة، والثقافة الغربية الحديثة، فكان أن اضطلعوا بمهمة تجديد البيان العربي وإحيائه، وإرجاع الديباجة العربية الناصعة إلى مكانها المرموق، مع جدة في الفكر والمضمون.

ولم يكن الرجال النخبة المجددون أعلاماً في النثر فقط، فقد كان إلى جوارهم أعلام آخرون في الشعر جاء في مقدمتهم البارودي، ثم تلاه شوقي وحافظ ومشاهير آخرون في العراق والشام.

ولكن هذه الصحوة التي حظيت بها اللغة العربية على أيدي هؤلاء الرجال الأفذاذ وأمثالهم في شتى أقطار العروبة، تعرضت لزحف جديد، أو لتيار عجمة جديدة، جاءت في هجمة عنيفة، كانت نتيجة طبيعية للإقبال على الثقافات الغربية الحديثة، قبل التسلح بأسس قوية من الثقافة العربية الأصيلة، أي أن الأجيال التالية أو معظمها، التي جاءت بعد جيل الريادة أعني ريادة الصحوة، لم تتوفر لها تلك الحصانة من الثقافة العربية المركزة،

التي توفرت لأمثال «طه حسين» و«الزيات» و«العقاد» و«شوقي».. وغيرهم.. فأخذت أعراض الثقافات الأجنبية تغزو الأسلوب العربي العام، والتعابير العربية الأصيلة، وأخذت أساليب الثقافة الإنجليزية والفرنسية وغيرها تطفو على كل سطح، وشاعت تراكيب عجيبة في التعبير العربي، اكتسحت أو كادت أن تكتسح البيان العربي، وسيطر اعتقاد؛ أن اللغة العربية لا تملك من الثروة اللفظية ولا من طواعية التعبير ما يسد حاجة المثقف الحديث.

ولا مراء أن الحضارة الحديثة هي حضارة الغرب، وبالتالي فإن لغاته هي لغتها، وأن مصطلحات هذه الحضارة ومسمياتها هي المصطلحات الغربية.

ولا مراء أيضاً أن اللغة العربية وقفت من هذه الحضارة موقف المبهور المأخوذ، وأن ما بذلته مجامعها اللغوية والعلمية لم تستطع أن تسيطر على التيار المتدفق من الغرب، وأن الصحافة العربية في معظمها لم تؤد أمانة التعريب كما ينبغي.

وكان طبيعياً مع كل ذلك، ومع انكماش هيمنة الثقافة العربية، أن تسيطر العجمة الجديدة على الأسلوب التعبيري في دنيا العرب، حتى لكأننا ـ في كثير من الأحيان ـ ونحن نقرأ لكاتب عربي ـ أي كاتب إلا ما رحم ربك ـ إنما نقرأ شيئاً عجيباً

ليس بالعربي الفصيح، ولا بالغربي الصريح، نرتطم بين الفينة والفينة بكلمات غربية، أو مصطلحات غريبة، أو يلتوي التعبير العربي ذاته فلا يستقيم لصاحبه، ونشأت من هذا مشكلة حديثة هي:

لمن يكتب الكاتب العربي الحديث؟.. أهو يكتب للمثقفين أمثاله؟.. أو أنه يكتب للناس كافة؟...

إن عامةالناس، أو بتعبير أدق، الجمهور الذي يمثل القارىء العادي، لا يستطيع أن يدرك، أو أن يلاحق الكاتب الحديث الذي تشيع العجمة الجديدة في أسلوبه، ويدخل في هؤلاء، أولئك المثقفون الذين لم ينالوا حظاً من التعليم الغربي، فوقفوا عند حد الثقافة العربية المحضة..

أما إذا كان الكاتب العربي الحديث إنما يكتب للمثقفين الذين هم على غراره، فإن رسالته في هذه الحالة أصبحت محدودة في أضيق نطاق، ولم تؤد أهدافها كاملة.

ونتيجة لهذا الانفصال الفكري بين الكاتب وجمهوره، تعالت صيحات تدعو إلى علاج الداء الجديد، وكان أسوأ ما تنادى به القوم من علاج، الدعوة إلى الكتابة باللغة العامية.

إن دعاة العامية.. سواء أصدروا في دعوتهم عن قصد

حسن، أو سيء، إنما يحاولون معالجة الداء بداء جديد أعم وأطم.. سيسبب انفصالاً فكرياً واجتماعياً بل قومياً بين المجتمع العربي كله، حيث ستنشطر اللغة العربية إلى لغات متعددة يباعد بينها الزمن تدريجياً، ثم لا تعود تلتقي.. تبدو العملية أول الأمر وكأنها لهجات مختلفة، ثم تغدو مع السنين لغات مختلفة، كما حدث بالنسبة للغة اللاتينية، التي أصبحت لغات متعددة.

إن أيسر من هذا جداً أن نعود إلى لغتنا العربية الواضحة الميسرة السهلة لكي نعززها ونحافظ عليها، ونقوي دعائمها، وأن نحارب العجمة الجديدة في كتاباتنا ووسائل أعلامنا كلها، أن نفعل ذلك بإجماع يشترك فيه كل بلد عربي، وأن تتعاون من أجل تحقيقه المجامع اللغوية، والمؤسسات الثقافية، وأن نأخذ الحذر، كل الحذر من أحابيل الاستعمار الثقافي، سواء جاء من خارج السياج، أو من داخله وبهذا نحافظ على كياننا.

إن لغتنا هي رأس مالنا الديني والقومي، فهي لغة قرآننا، ولغة تاريخنا، إذا فقدناها فقدنا كل الأسس الدينية، وكل الأسس القومية، وأصبحنا هلاماً يسهل ابتلاعه لكل من شاء.

ترجمة هذا الكلام أنه لا بد من الرجوع إلى التراث [illegible] لنا هذه الحصانة التي نتطلع إليها.

صحيح أن الصامدين في الدفاع عن التراث العربي كان يكتب لهم النصر.. وإننا بفضل ما هيأ الله من انتصاراتهم نستطيع الآن، لا التعرف فقط على التراث الصحيح، بل المحافظة على هذا التراث، إذا ملكنا الإصرار على المحافظة عليه، وأحسنا الدفاع عنه، واستطعنا أن نكشف المحاولات الجديدة، بل الغزوات الفكرية الحديثة، التي أخذت تنزل المعركة مواصلة الحرب القديمة، وإن كانت ذات أساليب جديدة، أكثر تنظيماً، وأكثر دقةً، وأكثر إغراءً..

المثقفون والتراث:

إذن فقد كان التراث العربي ألد أعداء الراغبين في تمزيقنا بل لقد وُفق هؤلاء إلى خلق هذه الفجوات الفكرية الواسعة التي تبدو ـ أكثر ما تبدو ـ في صفوف المثقفين، الذين تختلف ألوان ثقافاتهم، إلى الحد الذي تشكل فيه هذه الاختلافات، منازع فكرية شديدة التباين.. ولولا هذه اللغة التي تربط بين المجموعات الثقافية المختلفة لكنت أقل تفاؤلاً في إمكانية اجتماع المثقفين على كلمة سواء، ليأخذوا أماكنهم الطبيعية من صفوف الكفاح الماثل..

إن اللغة، بالرغم من قوتها، كعنصر موحد للتعبير، فإن طغيان الثقافات المتباينة التي تأثر بها بعض المثقفين العرب،

توشك أن تتحول، عند هؤلاء إلى رموز مبهمة، بل هي كما أسلفت عجمة فكرية عجيبة يجتازها هذا العصر.

إن بعض المثقفين يصطنع طرائق جديدة للتعبير، ذات ظلال فكرية غريبة عن المناخ العربي.. بحيث تسوغ لي أن أقول: إن هناك أزمة جديدة، هي أزمة تأرجح التعبير عند بعض المثقفين بين اللغة العربية كرمز تعبيري، وبين الأشباح الفكرية الغامضة التي يريدنا أولئك المثقفون أن نتفهمها..

وبمعنى آخر، إن هؤلاء المثقفين، وإن استعملوا الحرف العربي كوسيلة تعبير، إلا أنهم كانوا يفكرون بعقول غير عربية.. أو بعقول انفصمت انفصاماً كلياً عن التراث العربي.. فهي إنما تتحدث عن أجواء غربية، ثم لا تطاوعها في ذلك ملكة عربية.. فالملكة العربية إنما هي حصيلة تراث.. وهم أمثلة حية للآثار الخطيرة التي يسببها البعد عن التراث..

مثل هذا الفريق من المثقفين لا يكاد يعرف شيئاً عن التاريخ العربي، ولا عن الأمجاد العربية، ولا عن البطولات العربية، ولا عما قطعه الفكر العربي من شوط بعيد في إغناء التراث الإنساني بكشوفاته وبحوثه ودراساته..

وهو لا يتذوق جمال التراث العربي، لم يعرف روائع الشعر القديم، ولا دقة أوصاف شعراء الصحراء، جاهليين

وإسلاميين، ولا عرف حماسيات الفرسان ولا ذخائر الأدب العربي . .

هذه الروح لا نريدها أن تسيطر، إن كنا نحرص حرصاً صادقاً على أن نربط أمتنا بتراثها، ومن ثم بمقوماتها لتظل أمة متماسكة الكيان . .

وليس لنا أن نلوم أجيالنا إذا ألقيناها في تيارات الشرق والغرب، ثم طلبنا إليها أن لا تتأثر بطرائق التفكير هنا وهناك . .

أنا لا أدعو إلى انعزال التراث العربي، بحيث لا يستمد روافد فكرية جديدة، وبحيث لا يلاحق وجوه التطور الفكري في العالم، وفي التراث الإنساني المتنوع . .

إن دعوة كهذه، إن قال بها قائل فإنما هي دعوة إلى تجميد التراث وبالتالي إلى تجميدنا نحن، وفصلنا عن العالم لنكون أمة أثرية . .

بدهي أن لا يقول بهذا قائل، إلا أن يريد أن يشرع في قصة دس من نوع آخر . . !

إيجابية التراث العربي:

لقد كان تراثنا مطلاً على العالم.. فأخذ عن الفرس، والهند، واليونان، وأخذ في مستهل هذا القرن من الحضارة الحديثة، ولكنه رغم اتصاله بأنواع من التراث ظل إلى عهد قريب ذا وجه عربي محض، محتفظاً بخصائصه وطابعه وشخصيته..

أقول ظل كذلك إلى عهد قريب، قبل أن يدخل أزمته الجديدة، أزمة اختلاف الاتجاهات الفكرية التي لا تقوم على قاعدة تراثية إن صح هذا التعبير.

لم يكن تراثنا مطلاً على العالم متجاوباً مع تراث الإنسانية فحسب بل لقد كان أيضاً مؤثراً في التراث الإنساني، وحسبه هذا دليلاً على عبقريته وأصالته وتوفر روح الإبداع فيه..

بل حسبي أن أذكِّر بالتجربة الأخيرة التي مر بها التراث العربي حين قدم أروع دليل على أصالته الفكرية وقدرته على التطور متى كان هو القاعدة الأولى التي تقوم عليها الثقافة..

هذه التجربة هي تجربة الأدب المهجري، أو أدب المهجر في الأمريكتين.. ألم تذهب فئة قليلة من الأدباء العرب ثم تصنع في قلب الدنيا الجديدة أدباً عربياً جديداً، أضاف إلى تراثنا الأدبي ثروة رائعة..

لقد كان الأدب العربي هناك جزيرة صغيرة جداً يحيط بها محيط واسع، هو محيط الثقافة الغربية ومع ذلك فقد احتفظت تلك الجزيرة باستقلالها وشخصيتها، وخرجت بأدب عربي بارز الملامح في شعره ونثره..

كيف حدث ذلك؟.. الجواب يسير، لقد انطلق مؤسسو الأدب العربي في المهجر من لغتهم أولاً، ومن ثقافتهم العربية أولاً، وعرفوا مشاهير شعرائهم وآدابهم أوّلاً، وإلا لاستحال على أي منهم أن يبدع أدباً عربي السمات، ومع ذلك فقد كان لكل منهم روافده من الأدب الغربي.. أو من الأدب الشرقي، سيان..

ومنذ عهد ليس بالبعيد، قام رواد الفكر العربي في العصر الحديث، الذين مثلوا طلائع النهضة الأدبية والفكرية، بعمل فكري مزدوج، حققوا به الهدفين الكبيرين، أعني إحياء التراث العربي وتحبيبه إلى الأجيال التالية، والأخذ بروائع الفكر الإنساني، في غير ما إسراف ولا التصاق ولا استذابة.. وقد تعاونت في ذلك الأقطار الرائدة في مصر والشام والعراق ولبنان..

وكان السر في نجاح هؤلاء الرواد، ونجاحنا بهم، أنهم إنما كانوا يرتكزون على ثقافة عربية قويمة، وأن اتصالهم بالثقافات

الأخرى، إنَّما كانت عملية رافدة، وليست المنبع الأول..

استعرضوا إذا شئتم أسماء هؤلاء الرواد، تجدوهم إنما ينتمون في ثقافتهم الأولى، إلى معاهد ذات أصالة في الثقافة العربية.. وتجدوهم أيضاً قد استرفدوا الثقافات الجديدة.. بحيث لم تطغ على الأصالة العربية المتميزة..

توثيق الأديب بتراثه:

إذا أردنا أن نعمل على توثيق الأديب بتراثه.. فإن نقطة الارتكاز الأولى ستكون التعرف إلى هذا التراث، وتحبيبه إلى النفوس، وتعويد الأجيال الجديدة عليه، وتقريبه إليهم، والعناية بالكلمة العربية، والاستعمال العربي، والاصطلاح العربي، واصطناع مسميات عربية ـ كلما أمكن ـ لمستحدثات الحضارة، والتمكين للغة العربية لكي تكون لغة العلوم، ولتحتل محلها من جامعاتنا ومعاهدنا، وتنشيط حركة التعريب، وإحياء روائع الفكر العربي القديم، والعناية به إخراجاً وتصحيحاً وتدقيقاً، وتوحيد الجهود العاملة في هذا الحقل، واستثمارها على خير الوجوه.. والعمل على إبراز بطولاتنا، والمثل الصالحة من أبطالنا، وقصص تضحياتنا، وتسخير كل وسائل إعلامنا لخدمة التراث العربي عن طريق الصحيفة المجلة والكتاب والإذاعة والتلفزيون الأندية والمحافل

والاجتماعات، وإحياء ذكرى أعلامنا.. وأن يتعاون في ذلك البيت والمدرسة والمجتمع، وقبل ذلك وبعده، أن نخطط لتوثيق ارتباط الأجيال بتراثنا، تخطيطاً شاملاً مدروساً عن طريق مكتب أو مؤسسة عربية جامعة..

التـراث والمعركـة:

وبعـــد؛ يرد الآن السؤال المهم: كيف نستطيع أن نسخر التراث الأدبي والفكري للمعركة مع إسرائيل؟.

ما أحفل الأدب العربي بقصص الفروسية والبطولة، وما أغنـاه بأحـاديث البطولات، والأبـطال، وأحـاديث الكفـاح والصراع والمقاومة، لقد بهرت شجاعة العرب العالم ذات يوم!.

ولست أشك أن روح البطولة الكامنة في النفس العربية، تحتاج إلى إيقاظ وتعبئة وتحميس.. ولِمَ أذهب بعيداً؟ وها هي قصص الفدائيين ملء الأذن والعين.. وما على رجال الفكر إلا أن يغذوا مثل هذا الاتجاه البطولي.. لتحويل الشعب العربي في كل مكان إلى شعب فدائي، يستسهل الموت لتحقيق عزته وكرامته واستعادة أرضه.. ■ ■ ■

فهرس

مقدمة الطبعة الأولى ٥
مقدمة الطبعة السادسة ٩
تمهيـد ١١
موقف الإسرائيليين من تراثنا ١٣
اللغة والتراث ١٦
المثقفون والتراث ٢٢
إيجابية التراث العربي ٢٥
توثيق الأديب بتراثه ٢٧
التراث والمعركة ٢٨

من إصدارات دار الرفاعي:

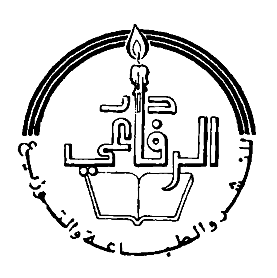
سلسلة المكتبة الصغيرة

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلف
١ -	توثيق الارتباط بالتراث العربي	عبد العزيز الرفاعي
٢ -	جبل طارق والعرب	عبد العزيز الرفاعي
٣ -	خمسة أيام في ماليزيا	عبد العزيز الرفاعي
٤ -	كعب بن مالك	عبد العزيز الرفاعي
٥ -	أبو محمد البطال	د. يحيى محمود ساعاتي
٦ -	أم عمارة	عبد العزيز الرفاعي
٧ -	أبو دلف	د. محمد عبد المنعم خفاجي
٨ -	قصائد من مقبل العيسى	مقبل العيسى
٩ -	من عبد الحميد الكاتب	عبد العزيز الرفاعي
١٠ -	قريتي الخضراء	أحمد قنديل
١١ -	كرائم النساء	أحمد محمد جمال
١٢ -	الغزو الفكري	عبد الله عبد الجبار
١٣ -	بنو الأثير.. الفرسان الثلاثة	محمد الحمدان
١٤ -	أطياف من الماضي	محمد عبد القادر فقيه
١٥ -	من أجل الشباب	أحمد محمد جمال
١٦ -	الحج في الأدب العربي	عبد العزيز الرفاعي
١٧ -	من أمهات الكتب	العوضي الوكيل
١٨ -	سوق عكاظ	علي حافظ
١٩ -	ضرار بن الأزور	عبد العزيز الرفاعي
٢٠ -	قاطع الطريق	أحمد قنديل
٢١ -	حمزة شحاتة	عزيز ضياء
٢٢ -	غناء وشجن	محمد سراج خراز
٢٣ -	ذكريات لا تنسى	غالب أبو الفرج
٢٤ -	خولة بنت الأزور	عبد العزيز الرفاعي
٢٥ -	رحلة في كتاب من التراث	عبد القدوس الأنصاري

رقم الكتاب	اسم الكتاب	المؤلـف
٢٦ ـ	الحسن بن أسد الفارقي	هلال ناجي
٢٧ ـ	الإمام الشافعي	أحمد العربي
٢٨ ـ	أرطاة بن سهية	عبد العزيز الرفاعي
٢٩ ـ	مدائن صالح	محمد عبد الحميد مرداد
٣٠ ـ	ذكريات مدرس	عبد الرحمن صباغ
٣١ ـ	الشباب دراسات ولقاءات	أحمد محمد جمال
٣٢ ـ	فيلسوف	محمد حسن فقي
٣٣ ـ	إمام الصابرين أحمد بن حنبل	عبد العزيز المسند
٣٤ ـ	المتنبي والقرامطة	د. محمد محمد حسين
٣٥ ـ	الأعمش الظريف	أحمد الضبيب
٣٦ ـ	الأمير الشاعر تميم بن المعز	محمد عبد الغني حسن
٣٧ ـ	الوراقة والوراقون	لطف الله قاري
٣٨ ـ	أبو العلاء اللاهوري	د. ظهور أحمد أظهر
٣٩ ـ	وقفات مهمة في التاريخ الإفريقي	عبد الله حسن
٤٠ ـ	نجوم في آفاق العربية	د. عبده بدوي
٤١ ـ	لمحات من تاريخ الطب عند المسلمين الأوائل	د. علي عبد الله الدفاع
٤٢ ـ	القاضي عياض	عبد الله كنون
٤٣ ـ	الطير في الأدب العربي	أحمد سعيد أبو زبيد
٤٤ ـ	الهمزة، مشكلاتها وعلاجها	د. شوقي النجار
٤٥ ـ	حافظ إبراهيم	د. محمد بن سعد بن حسين
٤٦ ـ	عبد الله بن رواحة	د. محمد بن سعد الشويعر
٤٧ ـ	مذنب هالي	محمد زاهد عبد الفتاح أبو غدة
٤٨ ـ	لو أبصرت ثلاثة أيام	هيلين كيلر ـ ترجمة د. عبد الهادي التازي
٤٩ ـ	المزيد في رأيي المتواضع	د. غازي القصيبي
٥٠ ـ	من مرائي الحيوان في الشعر العربي	العوضي الوكيل
٥١ ـ	رمضانيات فيلسوف	محمد حسن فقي
٤٨ ـ	مصادر علم الصيدلة	د. علي عبد الله الدفاع

فسح من وزارة الإعلام برقم/٨٩٩/ م

تاريخ ٨ / ٥ / ١٣٨٩هـ



منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع

ص. ب: ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣

تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

* الكاتب والكتاب *

* هذا الكتيّب هو العدد الأول من سلسلة (المكتبة الصغيرة) التي نمت بعده وشارفت الخمسين كتيّباً.
* وهو من قلم الأستاذ عبد العزيز الرفاعي، وترجمته بقلمه مسجلة في كتيّبه (خولة بنت الأزور) الصادر في السلسلة نفسها برقم (٢٤).
* تناول البحث أهمية التراث العربي، بالنسبة للعرب والمسلمين، وأهمية توثيق الارتباط به، وأثره على مستقبل الأمة العربية، وأن الأمة التي ليس لها ماض ليس لها مستقبل، وشمل الكتيّب موضوعات مهمة منها: موقف الإسرائيليين من التراث العربي، واللغة وعلاقتها بالتراث، والمثقفون والتراث، وإيجابية التراث العربي.
* طبع هذا الكتيّب ست طبعات، تميزت هذه الطبعة السادسة الأخيرة، بإضافات جديدة.

منشورات دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع
ص. ب: ١٥٩٠ ـ الرياض ١١٤٤١ ـ تليفون: ٤٧٨٨٨٣٣
تلكس: ٤٠١٣٦٧ (الفرات) ـ فاكسميلي: ٤٧٩٤٣٢١

الثمن: ٤ ريالات